لا زالت ألفاظه حلية الممالك ووده في النفوس ثابتاً وللقولب خير مالك ومنزله من فضل الله رحيب الساحات معوراً بالسماحات في رحية مالك وينهى ورود مشرف سمح ببيانه ونفح بعرفانه وجنح إلى عوائد إحسانه ولمح أشرف المعاني بإنسانه وربح إذ بدا بفصل خطابه وفضل بنانه أبى الله إلا أن يكون له الفضل في ابتدائه والفوز بسبق تحيته وانشائه فقبله المملوك تقبيلاً وفضه فإذا البيان جاء كله معه قبيلا ورأى أدباً غضاً ونظماً ونثراً فاقاً من سلف عصره وتقضي ولقد ذكر مولانا بأوقات قربه على أن المملوك ما زال يذكرها وأقر عيناً ما برح تشهد محاسنه وتنظرها .

أبلغ أخانا أدام الله نعمته ... أني وكنت لا ألقاه ألقاه .

الله يعلم أني لست أذكره ... وكيف يذكره من ليس ينساه .

ولقد تحملت بمولانا جهة تصدر أخبارها بأقلامه وتصدر مهماتها بمتين كلامه ويبدو صلاحها بألفاظه التي هي كالزلال في رقته والدر في نظامه فبسط الله ظلال من أمتع هذه المملكة بمولانا وسير ركابه إليها وطالما أولاه الخير وأولانا قد شمل البعيد والقريب بفضله وعمر مصر بسودده وغمر الشام بوبله .

كالبحر يقذف للقريب جواهرا ... كرماً ويبعث للبعيد سحابيا .

ثم يعود المملوك إلى وصف محاسن مولانا التي مكنت في القلب حبه وأرضت بالود مملوكه وتربه وشيدت له في الأفئدة أرفع رتبة .

اتتنا من ودادك خير هبه ... فنعم طيبها عيش الأحبه .

وزارتنا على نأي فأهدت ... لنا أنسا به أنسى تنبه .

تذكرني بزورتها ائتلافا ... ووقتا طالما معتت قربه .

نأى عن مصر من مولاي أنس ... فألفى بعدها رحباً ورحبه .

للفظك في الطروس عقود معنى ... بها در الترائب قد تشبه .

وخطك لم يزل دراً ثميناً ... له بالجوهر الشفاف نسبه .

بنانك منبر ترقى عليه ... يراع كم لها في الطرس خطبه .

خطبت من المعاني كل بكر ... فلبت بالإجابة خير خطبه .

كأنك قد رقيت الأفق عفواً ... فأعطى طرسك الميمون شهبه .

قدمت معظماً في كل أرض ... تنال من السعود أجل رتبه .

وكتب إلي ونحن بالمخيم السلطاني على طنان ملغزاً في كتاب .

يا مبدعاً في النظم والنثر ... وفاضلاً في علمه يثري .

ومودعاً منهرقه كل ما ... يزري بحسن الدر والتبر .

إن أحكمت ألفاظه أصبحت ... قواطعاً تربى على الابتر .

ما صامت ينطق أفضاله ... وكاتم للسر في الصدر .

تصلحه الراحة لكنه ... تتعب في الطي وفي النشر .

قد أشبه البيض ولكنه ... يحتاج يا ذا الفضل للسمر .

تفرق الليل بأرجائه ... كأنه وصل على هجر .

يسير عن أوطانه دائماً ... للنفع في البر وفي البحر .

إن كان يوماً ضيف قوم غدا ... يقري وخير الناس من يقري .

فهات لي عنه جواباً كما ... عودتني يا عالي القدر .

فكتبت إليه الجواب عن ذلك .

أروضة تبسم عن زهر ... أم أكوس دارت من الخمر .

أم نظم مولانا فإني الذي ... أعده من جملة السحر .

إذ كل حرف منك شمس وأن ... سامحت قلت الكوكب الدري .

يا فاضلاً ما مشتهي نظمه ... في الناس إلا قطع الزهر .

وكاتباً أصبح من خطه ... يغني عن الخطية السمر .

حللت ما ألغزته في الذي ... تجلوه لي في حبر الحبر .

ما فاه بالنطق ولكنه ... له فنون النظم والنثر .

يخبرنا عما مضى وانقضى ... وما جرى في سالف الدهر .

لا يكذب القول إذا ما روى ... فقد حكى صدق أبي ذر .

وعنده للحسن ديباجة ... شبيهة بالليل والفجر .

ذرت على كافوره مسكة ... ليس لها نشر مع النشر .

كم أقسم الباري به مرة ... مرت لنا في محكم الذكر